هوامش

يُجبر علماء الأحياء في الإكوادور على مغادرة المناطق التي يجرون فيها دراساتهم وأبحاثهم على الحيوانات، لأنّ هذه المناطق تخضع لسيطرة عصابات إجرامية وتجار مخدّرات

عالم الأحياء سيزار غارسون (رودريغو بويندا/فرانس برس)

علماء في الإكوادور

أبحاث ترزح تحت وطأة العصابات الإجرامية

تعرّض عالم الأحياء، سيزار غارسون، إلى تهديدات في الإكوادور، على غرار علماء كثيرين في هذا البلد الغني بالتنوع الحيوي، والذي تقوّض عصابات الاتجار بالمخدرات عمل الباحثين فيه. فقد أجبر الخوف من احتمال الخطف عالم الأحياء المذكور على تعليق بحث كان يجريه في مدينة كاميلو بونسي إنريكيس الغنية بالمناجم في مقاطعة أزواي، وهي منطقة في جنوب البلاد تثير شهية تجار المخدرات. وركز غارسون في تحقيقاته على وجود ببغاء الأورو (Pyrrhura orcesi)، الذي يوجد منه ما يُقدّر بألف عينة، والمعرّض لخطر الانقراض بحسب الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة. وقد توجه إليه رجل ذات مساء من شهر إبريل/نيسان الماضي خلال وجوده في المدينة بالقول: «قم بعملك في مكان آخر لأن الوضع خطير هنا». وفي تلك الليلة، قُتل رئس بلدية كاميلو بونسي إنريكيس بالرصاص. وبعد بضعة أشهر، أدى اشتباك بين مجموعات إجرامية إلى مقتل خمسة أشخاص. وعثرت السلطات على جثتين مقطوعتي الرأس وأخرى محترقة.

العودة إلى كيتو

وأراد المتخصص بعلم الطيور في المعهد الوطني للتنوع البيولوجي حينها مواصلة أبحاثه في مدينة مجاورة، ولكن بمصادفة مروعة، قُتل رئيس بلدية المدينة بالرصاص. هكذا، حزم الباحث حقائبه وعاد إلى العاصمة كيتو. وبسبب احتياطياتها من الذهب، أصبحت مدينة كاميلو بونس إنريكيس بمثابة جيب لعصابة لوس لوبوس التي تموّل نفسها جزئياً من التعدين غير القانوني، وهو نشاط يدر ما يصل إلى مليار دولار سنوياً في البلاد. وبسبب وجود عصابات إجرامية عنيفة مرتبطة بتهريب المخدرات، سجلت الإكوادور، الواقعة بين كولومبيا والبيرو، أكبر منتجين للكوكايين في العالم، رقماً قياسياً بلغ 47 جريمة قتل لكل 100 ألف نسمة في عام 2023، مقارنة بما معدله ست جرائم العام 2018. دأب عالم الأحياء على إجراء دراسات بشأن ببغاء الأورو على مدى عقدين، وهو يعمل في سبيل الحفاظ عليه والمشاركة في الإدارة المستدامة لموائله، لكن دخول مدينة كاميلو بونس إنريكيس بات محظوراً عليه. وقال الباحث لوكالة فرانس برس: «ما زلنا في حالة من عدم اليقين والإحباط»، متحدثاً عن «أهمية هذه المناطق للأنواع المستوطنة أو المهددة». بسبب العنف، أصبحت رحلات الباحثين إلى الميدان تستغرق وقتاً أقصر، أو تتم في مناطق يمكن للعلماء أن يعثروا فيها على أنواع مماثلة مع تعرضهم إلى مخاطر أقل. وأوضح ماريو يانيس، وهو عالم أحياء آخر من إينابيو، أن «مستويات العنف أدت إلى تقييد تام في بعض المناطق»، لا سيما على الساحل وفي مناطق التعدين. كما أعرب عن أسفه لأن العنف في هذه المناطق «يحد من أموال التعاون الدولي التي من شأنها أن تتيح تنفيذ أعمال الحفاظ على البيئة». وتُعدّ محمية لالو لور الخاصة في مقاطعة مانابي غرب البلاد موطناً لواحدة من آخر الغابات الاستوائية الجافة في المنطقة الساحلية، لكنها أيضاً معقل للجماعات الإجرامية.

الحيتان الحدباء

وبسبب هذا الحضور، ألغت جامعات أميركية زيارة سنوية للباحثين والطلاب. وإذا استمر هذا الأمر، فـ«سنضطر إلى الإغلاق لأننا لن نتمكن من تغطية رواتب موظفينا»، وفق مديرة المحمية ماريليا لور. كذلك، أوقفت عالمة الأحياء في جامعة سان فرانسيسكو الخاصة في كيتو جوديث دينكينغر في عام 2022 بحثاً كانت بدأته قبل عقدين على الحيتان قبالة ساحل مقاطعة إزميرالداس (شمال غرب)، وهي منطقة تعاني أيضاً عنف العصابات. وقالت دينكينغر لوكالة فرانس برس من موطنها ألمانيا، إنها منذ ذلك الحين لم تتلقّ أي صور أو تسجيلات صوتية للحيتان الحدباء التي تأتي إلى المحيط الهادئ الاستوائي للتزاوج والولادة. بالنسبة إلى دانييل فيزويتي، المتخصص في الدراسات الاجتماعية للعلوم والتكنولوجيا في جامعة فلاكسو في كيتو، فإن الأبحاث المتعلقة بالبيئة «ربما تكون الأكثر تراجعاً على وجه التحديد لأنها تحدث (...) في الأماكن التي يكون فيها الإطار المؤسسي أضعف». وخلص إلى أن «هذا يعني أن حياة الباحثين نفسها يمكن أن تكون مهددة».

(فرانس برس)

باختصار

بسبب احتياطياتها من الذهب، أصبحت مدينة كاميلو بونس إنريكيس بمثابة جيب لعصابة لوس لوبوس التي تموّل نفسها جزئياً من التعدين غير القانوني

■■■

العنف في هذه المناطق يحد من أموال التعاون الدولي التي من شأنها أن تتيح تنفيذ أعمال الحفاظ على البيئة

■■■

أوقفت عالمة الأحياء في جامعة سان فرانسيسكو الخاصة في كيتو جوديث دينكينغر في عام 2022 بحثاً كانت بدأته قبل عقدين على الحيتان

وأخيراً

من ذكريات العودة إلى المدرسة

محمود الرحبي

الوصول المُبكّر إلى المدرسة ستُبنى عليه تفاصيل بقيّة العام الدراسي، أولها الكرسي، والزميل الذي سيكون بجانبي، لأنّه إذا تأخّرنا، فسنجد الكراسي الأمامية قد حجزت حتّى نهايةِ العام. والزميل تأتي به المصادفة، لكنّ كرسي الجلوس والطاولة يحتاجان إلى تبكير. كذلك بالنسبة للكتب، فالمتأخّر لن يكون نصيبه إلّا كتاباً ممزّقاً بلا أغلفةٍ، بينما سيستحوذ المُبكّرون بالمجيء على جميع النسخ الجديدة، وتلك القديمة نسبياً، بينما المتهالكة ستكون من نصيب آخر القادمين.

لكلٍّ منّا ذكراه في اليوم الأول للدراسة. شخصياً كنت في مطرح حينها، وكانت أمّي تصحبني إلى مدرسة سلطان بن أحمد الإبتدائية. ترتدي أمّي ما يُعرّف محلّياً بـ«الليسو»، ويبرز مفرق الشعر من أعلى الوجه. «الليسو» يكون ملوّناً عادة، وهي ملابس أظنّها كانت تأتي من الهند، وتباع في سوق مطرح. كنتُ متشبّثاً برداء أمّي أزيحه بسبب القبضة، وهي ترفعه إلى حدود منتصف رأسها. كانت الدموع تسبقني كمن يذهب به إلى محلٍّ للعقاب. عليَّ أن أفارقها ساعاتٍ طويلةٍ، ولكن حين خرجْتُ وجدّتُها تنتظرني لم تبارح بوابة المدرسة، كانت تنتظر في الشمس طوال تلك الساعات. كان اليوم الأول صعباً، ولأني وصلت متأخّراً بعد أن استلمني أحد شباب الكشّافة، ونزع يدي من ملابس أمّي، وشرع يبحث ويسأل عن فصلي الدراسي المُفترَض، لم يكن حينها نصيبي سوى أحد آخر الكراسي، بين أشخاص يكبرونني في العمر، فعُمانيون كثيرون في وقتنا ممّن تأخرت بهم الدراسة، وخاصّة أبناء أولئك القادمين حديثاً إلى عُمان، سواء من أبناء المهاجرين بعد استقرار حكم السلطان قابوس بن سعيد، أو من القادمين من أفريقا وسواحل المحيط الهندي. عُمانيون دفعت الظروفُ آباءهم وأجدادهم إلى السفر والاستقرار بعيداً من بلدهم، ثمّ عادوا في السبعينيّات. في ذلك الوقت، كان والدي يذهب إلى «سوبر ماركت» في منطقة روي، ويشتري أكياساً فيها أقلام و مساطر ومحّايات وبرّايات وكراريس، يتركها عند أمي، فتوزّعها حسب الحاجة، أو تحتفظ بالباقي لانتظار أحد أطفالها أن يكبر ويصل إلى سنّ المدرسة. كنّا تسعة أولاد وبنات، قَبْلَنا كانوا ثلاثة فارقو الدنيا بسبب أمراض ذلك الزمان، التي كانت تحصد الأرواح بلا هواده. وكان السكن في مطرح متواضعاً لا يزيد عن غرفتَين، ولكن كان اللعب والفرح على أشدّه. وأبناء الجيران كأنّهم يسكنون في بيتنا.

تصطف حافلات النقل في جوانب الشوارع في انتظار أن تمتلئ. وبعضها كان يذهب ويأتي في دفعتَين بسبب وفرة التلاميذ. ولكن هناك من يقطع الطريق ماشياً، في البداية برفقة أحد والديه، ومع مرور الوقت سيشقّ الطريق وحيداً أو برفقة من يصادفهم من التلاميذ في الطريق. ولكن قد يتباطأ المسير فجأةً حين يقرّر اثنان من التلاميذ العراك، فيتمرّغان في التراب وتتشكّل حولهم حلقةٌ من المُتفرّجين.

حين نصل إلى الصفّ الخامس نرفض أن نضع كتبنا في حقائب، كنّا نعتبرذلك نقيصة. سنحمل الكتب عاريةً ولكنّنا نوثّقها بسيور جلدية، حتّى لا تنزاح وتتساقط في الطريق. وهناك من يتمرّد حتّى على تلك السيور ويتخصّر كتبه غير مبال بسقوط ورقة أو دفتر في الطريق. كانت أكثرالحصص قساوةً هي حصّة الرياضيات، وكان جدول الضرب الأقسى بينها. سيسألك المدرس عن نتيجة ضرب رقمَين، وإذا لم تُجِب في اللحظة المناسبة، فإنّ صفعة ستنقضّ على خدك، وعلى أذنك التي سيخرج منها ما يشبه العويل. لذلك كنا نقضي المساء ونحن نحفظ جدول الضرب وبصوت مسموع مرتجف. لكن لا فائدة، فهذا الجدول العَصيّ ترفض نتائجه أن تستقرّ في الذاكرة. في أيامنا كانت الدراسة أشبه بحلقات تعذيب حقيقية. كان الضرب، وليس التعليم، سيدَ الموقف، ومشهد سحب التلميذ من رجليه ورفعهما لتلقّى علقة وهو يصرخ بكل صوته مستغيثاً.. كان هذا المشهد عادياً. وأتذكّر ذلك التلميذ «بريك»، الذي تخرج الراء مرقّقة حين ينطق اسمَه، وتتحوّل «بغيك». سيكره والده لأنّه لم يختر له إلّا هذا الاسم جالب المتاعب. سأله مرّةً أحد المُعلّمين المُتعطّشين للضرب عن اسمه، وحين نطقه بتلك الطريقة ضربه حتّى يصحّحه، ولكن لاحيلة للطفل في ذلك، حتّى لو ظلّ المدرّس يضربه ثلاثة أيّام. ولم يتوقّف إلّا حين تدخّلنا شارحين له بأنّه لا يمكن أن ينطق راءَ بريك إلّا مرقّقة. حينها فقط توقّفت عصى المعلّم عن الضرب.

> كانت الدراسة في أيامنا أشبه بحلقات تعذيب حقيقية، كان الضربُ، وليس التعليم، سيدَ الموقف

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**